تاريخ الفن في بلاد وادي الرافدين

قسم الفنون التشكيلية فرع رسم

المرحلة الأولى

اعداد

م.م ازهار حكمت محمود

المصدر: د. زهير صاحب، و د. حميد نفل تاريخ الفن في بلاد الرافدين

المحاضرة الأولى

فنون الانسان في عصور ماقبل التاريخ

- سميت هذه الحقبة بعصور ماقبل التاريخ نظرا لعدم معرفة الانسان القراءة والكتابة والتدوين فيها اذ خلت من الوثائق التاريخية المكتوبة او المدونة التي تعد من اهم مزايا العصور التريخية
- شغلت حقبة عصور ماقبل التاريخ حقبة زمانية طويلة جداً في حياة الانسان تعادل حوالي ٩٨% من حياة لبشرية كلها
- تمتد هذه الحقبة من اول ظهور للجنس البشري على سطح الأرض قبل حوالي مليوني عام كما تشير الاكتشافات حتى اقدم ظهور للكتابة والتدوين في حوالي منصف الالف الرابع قبل الميلاد
- قسمت هذه الحقبة الى مرحلتين حضارتين مهمتين تميزات احداهما لى الأخرى بسبب حدوث بعض الاختراعات والتغيرات المهمة في طبيعة حياة الانسان

١-مرحلة العصر الحجري القديم paleolithic

٢-مرحلة اعصر الحجري الحديث Neolithic

فنون الانسان في العصر الحجري القديم

سكن الانسان في هذا العصر الموغل بالقدم في مناطق متفرقة من العالم ومنها بلاد وادي الرافدين عاش في صراع مستمر مع الطبيعة وتمكن من ان ينتصر على هذا الصراع على الرغم من بساطة امكانياته تمكن من ان يصنع إلانجازات والاختراعات الأولى في مسيرة حياته البشرية

تركز سكن الانسان حينذاك في المناطق الجبلية معتمدا على ماوفرته الطبيعة من كهوف وملاجئ صخرية لتكون مقرات ياوي اليها تحميه من المخاطر ومن الحرفي الصيفاوالبرد في شتاء اعتمد في غذائه على صيد الحيوانات وجمع الفواكه والنباتات البرية اذ كان يجمع قوته لاينتجه بيده.اما التدجين والزراعة من اختراعات العصر الحجري الحديث

- صنع الانسان في هذا العصر ادواته من الحجارة بشكل فؤوس صغيرة كمثرية الشكل ذات نهايات مدببة استخدمت في انجاز متطلبات حياته اليومية ومن هنا جاءت تسمية هذا العصر بالعصور الحجرية

- يمكننا ان نرجح ان ظهور أولى بذور الديانة في هذه الحقبة المتاخرة من مرحلة لعصر الحجري القديم بدليل العثور على تماثيل جسدت الفكرة الأولى لتقديس قوى الخصب والتكاثر التي تدل على تاثير الشعور الديني في طبيعة الفنون في أواخر هذا العصر وعرفت بالالهة الام واشهرها تمثال (فينوس ولندروف) ما يؤيد وجود نواة العقيدة ، والتي شاعت فيما بعد في العصر الحجري الحديث الزراعية

- كان العمل الاقتصادي المتمثل بصراع الانسان مع الحيوانات من اجل اصطيادها لكونها المورد المهم والاساس في غذائه دور في تغطية جدران الكهوف والملاجئ الصخرية برسوم ومنحوتات كانت مثار للاعجاب والدهشة لروعتها اذا ماقيست بإمكانية الفنان المتواضعة

اشهر المواقع الفنية في العصر الحجري القديم

- ترك انسان العصر الحجري اعماله الفنية من رسم نحت في عد من الكهوف والملاجئ الصخرية المنتشرة في مناطق شاسعة من العالم

- ويعد القسم الجنوبي لغربي لحد الان من اوربة من افضل المناطق التي ضمت مخلفات الانسان الفنية في هذه الحقبة وتم العثور على كهوف في فرنسية واسبانية ومن بعدها تاتي قارةافريقيا

- تعرف منطقة الكهوف في اوربا التي تظم الكثير من الرسوم والمنحوتات باسم (فرانكو كانتبريان)التي تمتد من فرنسا حيث وادي الرون والدوروون وجبال البرنس وهي الحدود لطبيعية بين فرنسا واسبانيا حيث جبال كانتريا وهي امتداد لسلسلة جبال البرنس .

- تتجلى أهمية المنطقة بانها حافظت لنا نتاجات فنية كثيرة ومهمة موزعة بين مجموعة من الكهوف منها كهوف (لاسو – كوم بيرنن بير) في فرنسا، وكهف (التاميرا)في اسبانيا

- وهناك عدد من الكهوف المهمة في إيطاليا بالقرب من صقيلية وفي النمسا وروسيا وجيكوسلوكافيا

- اما في قارة افريقيا ترك انسان العصر لحجري القديم اعماله الفنية في عدة كهوف مغارات الصخرية في (فزان)وهضبة (تبستي) جنوب ليبيا ووادي (ديارات)في منطقة الحجار وهضبة (تشيلي)جنوبي ليبيا والجائر

مواد الرسم والنحت

- يقصد بمواد الرسم والنحت هي الخامات الأساسية التي استعملها الانسان القديم في اعماله الفنية وكذلك الالات والأدوات التي صنعها وكيفها واستخدمها في تنفيذ اعماله الفنية من رسومات ومنحوتات، وكانت اغلب هذه المواد هي مواد بسيطة يحصل عليها من الطبيعة ويقوم ببعض التحويرات عليها لجعلها صالحة لتنفيذ اعماله الفنية

- كانت جدران الكهوف وسقوفها افضل أوراق الرسم والواح الحجر وكانت تترك على وضعيتها الطبيعية حيث تنفذ الرسوم المنحوتات البارزة عليها مباشرة دون أي اصلاح او تحوير او تحسيين توزع عليها أرضية المشاهد فكانت توزع بشكل فوضوي لتشمل اكبر مساحة من جدران الكهوف وبعض المشاهد ظهرت في أماكن عميقة من الكهوف وعالية من الجدران

- نفذ الانسان اغلب مشاهد النحت البارز على عظام الحيوانات وقرونها وانيابها العاجية

- امتازت الاصباغ بثباتها اذ ماتزال على جدران الكهوف قبل عشرات الالف من السنين

- اكثر الألوان شيوعا هما اللون الأحمر والأسود

- استعملت لانتاج اللون الأحمر تربية اوكسيدية تحتوي على نسبة عالية من أوكسيد الحديد تعرف بالمغرة الحمراء ، وحجر الدم ودماء الحيوانات بعد قتلها

- انتج اللون الأسود من فحم الخشب ونوعية من التربة تحتوي على نسبة عالية من خامات المنغنيز وعظام الحيوانات بعد حرقها

طريقة تحضير اللون

- مزج المادة الخام كتراب الحديد اوالمنغنيز او فحم الخشب او طحين العظام المحروقة كباودر بشحم الحيوانات مزجا جيدا ربما استعملت دماء الحيوانات ومواد زلالية أخرى في تماسك هذه المواد وترابطها

- ربما استخدم الماء في تخفيف الصبغة وجعلها بشكل سائل صالح للرسم ، وتعتمد حدة الألوان على كمية الماء الميتخدمة في اذابة اللون ، وعلى مدى تعرضها للضوء والرطوبة والهواء داخل الكهف

الأدوات التي نفذت فيها الرسوم والمنحوتات

١- من المحتمل ان الانسان استخدم أصابع اليد

٢- جلود الحيوانات ذات الفراء

٣- حزمة من شعر الحيوانات

٤-ربما ريش الطبور

اما النحت فهناك أدوات صنعت من لحجارة

وبعضها صنع من العظام

اهم الة نتحت توصل اليها الانسان في العصر الحجري القديم هي ازميل الحفر والحز:وهو بشكل سكين عريض من الحجر ذات نهايات مدببة وقد مكنت هذه الالة الانسان القديم من صنع أدوات أخرى من القرون والعظام استخدمت في النحت على العظام والقرون والانياب العاجية

موضوعات الرسوم

- كانت الرسوم التي خلفها انسان الكهوف بسيطة
- كانت عبارة عن خطوط منحنية
- ترتب باوضاع عشوائية مشوشة يصعب التكهن بطبيعتها
- لعل فنان الكهوف كان يخطها باغصان الشجر او بادواته الحجرية على الأرض من ثم تحول الى جدران الكهف
- رسم اشكال رسمت في بصيرته دفعته لاعادة تخطيطها مرات عديدة
- كانت اشكال طبعات الكف البشرية اقدم الموضوعات بعد غمسها بدماء الحيوانات التي تم اصطيادها على أرضية الكهف او جدرانه مماجلب انتباهه على تكرار هذه العملية
- كانت البدايات ظهور فن رسم يقوم على التجربة والمحاكاة والصدفة التكرار
- تعد الاشكال الحيوانية ابرز مواضيع الرسم كان بعضها جميل في نظره والأخر مخيف يهدده بالقتل بمحاولة الحيوان الهجوم على الانسان ،او بمشاهد صيد الحيوانات التي تعد مصدر قوته
- اشهر الحيوانات التي تم رسمها فهي الغزلان بانواعها والثور الوحشي (البيزون) والفيلة ذات الصوف (الماموث) والدببة والذئاب والثعالب والارانب والخيول والابقار والضباع والطيور والاسماك
- تنوعت أوضاع الحيوانات بحسب الحالة النفسية فاحيانا يرسم حيوان واحد او مجموعة حيوانات بوضعيات خاصة تارة حالة ركض هروبا من الانسان في وضع الصيد وتارة في وضع الجتضاع الهادئ
- كان الفنان ناحجا ومجد في نقل صورة الحيوانات التي عاش بقربها بشكل معبر وحقيقي يعتمد على الصورة التي تنقلها العين المجردة

- اعتمد الفنان في ابراز الحالات النفسية للحيوانات كالهيجان والتاهب والهجوم اوالفزع ، او في حالات الهدوءواقفة او مضطجعة
- زوعت اشكال الحيوانات بشكل مبعثر دون تنظيم فلم تكن هناك معرفة بالانشاء التصويري المتجانس في التصوير فكان لكل شكل من اشكال الحيوانات كتلة مستقلة ليس له علاقة مع الكتل لمجاورة
- اجمل رسومات الحيوانات عثر عليها في منطقة الدوردون في فرنسا في كعوف لاسو ، وكهوف التاميرا في اسبانيا
- الاشكال البشرية المرسومة لتي كانت تمثل الرجال والقليل من النساء والأطفال فهي من المواضيع التي وجدت افضل نماذجها في كهوف فرنسا واسبانيا
- نفذت هذه الاشكال بحجم صغير بأسلوب بعيد عن الواقعية باستخدام عدد من الخطوط البسيطة
- الرا صغير ذو بروز امامي اشبه براس الطير
- الجذع يرسم على هيئة مثلث راسه الى الأسفل
- الايدي والارجل بخطوط بسيطة فقط
- ختلف الدواف في رسم والاشكال الحيوانية و البشرية فالاشكال البشرية رسمت لتوادي عملية الصيد
- عثر على اشكال بشرية بوضع حركي جيد لاسيما عند مطاردة الانسان للحيوان يحمل السلاح القوس او السهم بشكل قريب من الواقع لايخلو من قوة التعبير

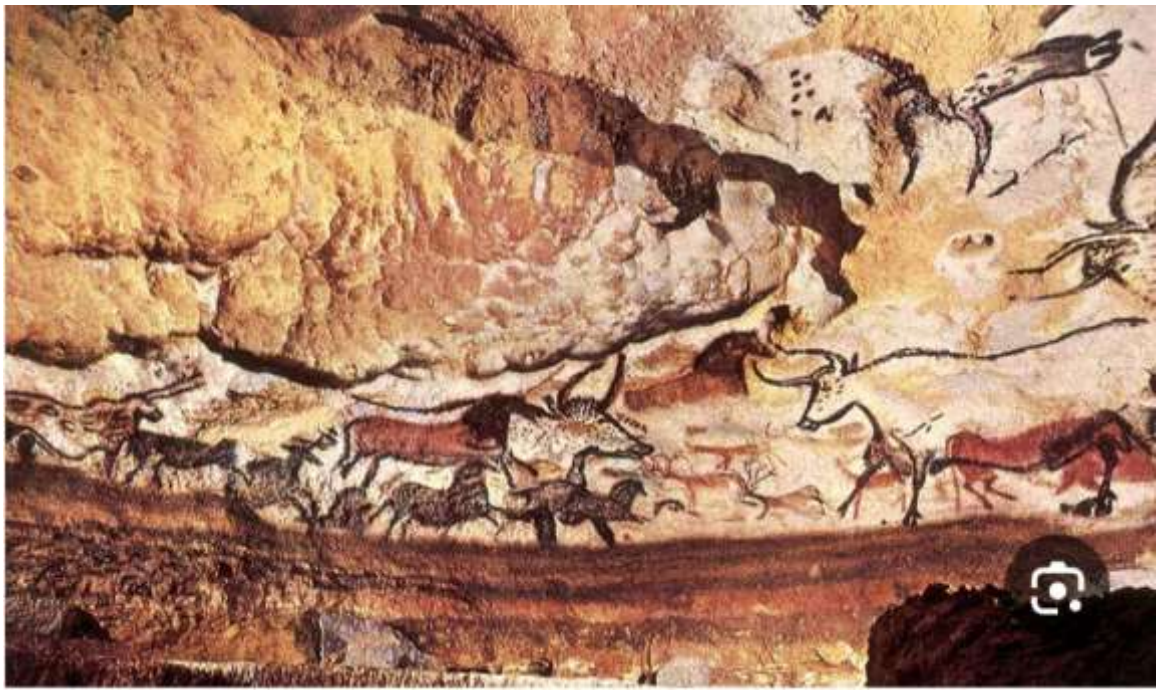

موضوعات المنحوتات

- تنوعات موضوعات النحت بين بارزة ومجسمة
- شملت اشكال بشرية وحيوانية
- سار فن النحت البارز في هذه الحقبة على مسار واحد مع الرسم فقد كانا مندمجين او متكاملين فقد تمت اقد المنحوتات بطريقة حفر الخطوط الخارجية للاشكال الرئيسية ثم إتمام العمل بطريقة الرسم باستخدام الألوان وهناك امثلة كثيرة في كهوف فرنسا
- بعدها اخذ النحت البارز مسارا منعزلا عن الرسم فتطورت طريقة الحفر الى النحت البارز العالي
- نفذ فنان النحت البارز مواضيعه على مواد مختلفة
- جدران الكهوف والملاجئ الصخرية
- عظام الحيوانات
- قرونها
- انيابها

- اشهر النماذج للنحت البارزالتي مثات في جدران الكهوف في كهف (ايبو) في منطقة الرون في فرنسا وجد افريز من النحت البارز يبلغ طوله (٧١ ياردة)وعرضع (١٦ ياردة)مثلت فيه مجموعة من حيوانات البيزون والخيول والماعز
- اجمل المشاهد للنحت البارز نفذت على العظام ظهرت في الكهوف الفرنسية مثل
- نحت على ناب ماموث يمثل ماموث بحالة تهيج
- نحت على عضم نسريمثل مشهد لقطيع غزال الرنة
- نحت على ضلع حصان يمث موضوع عراك بين حيواني بيزون
- كما عثر على نحت بارز لاشكال بشرية على جدران في كهف لاماجدولين في فرنسا لامراة عاريبة في وضعية الاضطجاع نفذ بشكل بسيط يعتمد على الخطوط الخارجية الا ان فيه جمالية ودقة في النقل الواقعي
- ظهر النحت المجسم في أواخر العصر الحجري القديم

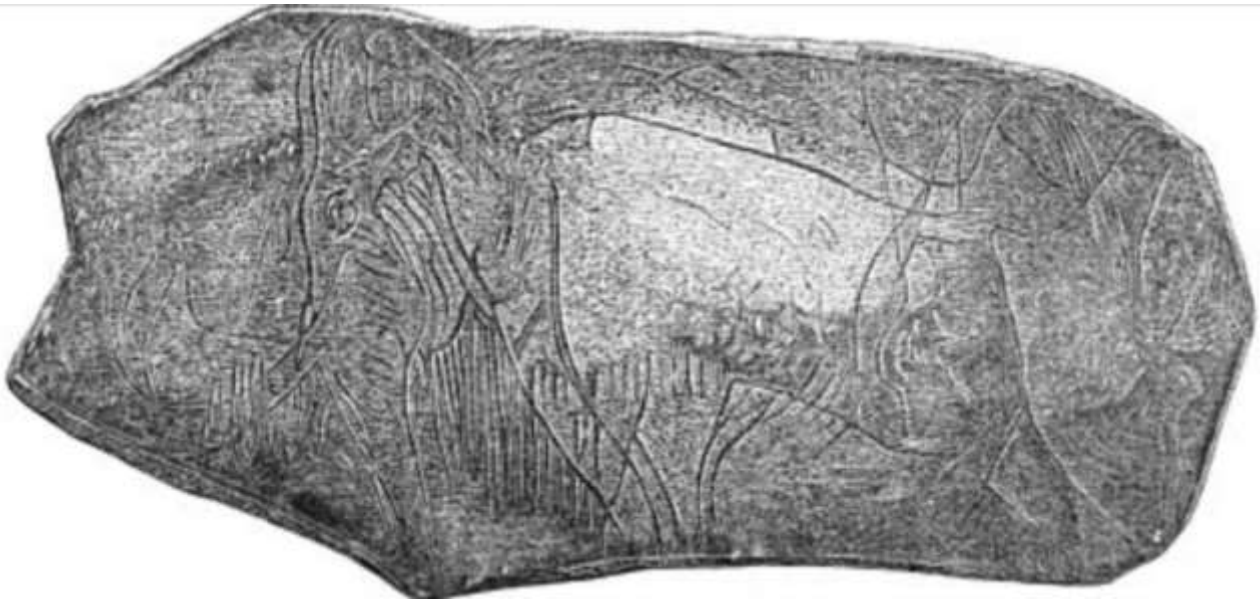

النحت المجسم

- تعامل الفنان مع الكتل الحجرية فضلا عن العظام والعاج والطين في تشكيل العديد من التماثيل الحيوانية والبشرية
- عمل العديد من تماثيل الدببة والخيول البرية وحيوانات الماموث ووحيد القرن
- اشهر دب معمول من الطين يزيد طوله عن ارع اقدام وارتفاعه قدمان اهم ماميزه تفاصيل الحركة اطرافه الاماميان امتدتا الى الامام وسحب الخلفيتان الى الأعلى تحت البطن عثر عليه احدى كهوف فرنسا يرج ان له تغراض وطقوس معينة
- التماثيل البشرية كانت نسائية تضمن معنى التوليد فقد اصطلح على تسميتها اسم الالهه الام
- مثلت بجسم انثوي
- كبيرة الورك في الغالب
- ضخمة ومنتفخة البطن يعلوها ثديان كبيران
- أعضاء الجسم الأخرى كالاطراف والراس تفاصيله بعيدة عن الملامح الطبيعية ان لم تكن مفقودة
- اشهر نماذجها عثر عليها في (وليندروف)في النمسا يبلغ ارتفاعها ١١ سم منحوت من حجر الكلس

أسلوب تنفيذ الرسوم

- نفذت رسوم الكهوف بأسلوب بسيط في البداية تخطيط الخطوط الخارجية باللون الأسود وترك الكتلة بدون تلوين وبعدها اكتسب الخبرة حيث بداء يملا المساحات الداخلية للاشكال بالالوان مع تأكيد على بقاء الخطوط الخارجية بتكثيف الصبغة وتخفيفها باتجاه الداخل
- ثم تطور أسلوب الرسم وبدع نماذج فيها مهارة في التخطيط والتلوين وبلغت قمة رقيها في أواخر العصر الحجري القديم
- الا انها بشكل عام فان أسلوب تلوين الرسوم كان بشكل بدائي فكانت الكتل تملى باللون بجميع مساحتها دون ان يكون هناك تدرجفي اللون يشير الى حيز لكتلة وإظهار تجسيمها

أسلوب تنفيذ النحت البارز

- كانت الخطوط الخارجية تواشر على الجدار او على العظام باستخدام قطعة حجرية مدببة النهاية ومن ثم تحفر الخطوط حفر عميق
- بذل النحات جهود في تاشير الاشكال فكان يسعى الى اظهار التفاصيل الدقيقة وذلك بتاشير شعر الحيوان بعدد من اخطوط بأسلوب الحزالحفر
- امتلك الفنان خبرة مكنته من حفر الارضيات الزائدة فبدت اشكال المشاهد بارزة عن ارضيتها نفذت بأسلوب البارز العالي الا نها قليلة نسبة الى الاعمال المنفذة بأسلوب الحفر الحز

دوافع الانسان في العمل الفني

كان الانسان صيادا ماهرا يعتمد في غذائه على مطاردة الحيوانات التي كانت تهدده بالفناء

- شغل هذا الموضوع حيزا كبيرا من تفكيره
- ابتكر طريقة تتفق مع مستواه العقلي للسيطرة للتخلص من هذه الحيوانات وشرورها
- يمكن الترجيح ان تكون تلك الطريقة نوعا من السحر او احدى اساليبه
- لذلك كان الانسان القديم يرسم صورة مطابقة للحيوان للتمكن من السيطرة عليه وكلما كانت الصورة مطابقة للاصل كانت عملية الصيد اكثر نجاحا

- تحقيق دافع اقتصادي من اجل الحصول على القوت اذ كان هدف رسم الحيوانات هدفا ماديا بالدرجة الأساس
- طريقة لقتل وقت الفراغ ، واستغلال الانسان حدث حصوله على طريتدته والتلذذ باكلها كان يلجاء للراحة ويطلق العنان لخياله في استعراض شكل الحيوان الذي اصطاده
- كما لا يخلومن وجود حافز فني فليس من المعقول ان يمارس الفن كل افراد الجماعات البشريةالتي عاشت في هذه الفترة فالارجح ان بعظهم مارسو الفن عن حب وتلذذ ولعل مايؤاكد هذا أروع ماوجد على سقوف كهف التايمر في شمال اسبانيا اذ لا يمكن تحقيق الرسم على السقف المرتفع الا اذا نام على ظهره وبذل كل ما اوتي من معانا وصبر